الحديث السادس

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ صلّى الفجر فى جماعة ، ثم قعدَ يذكُرُ الله حتى تطلعَ الشمسُ ، ثم صلّى ركعتين ؛ كانت له كأجرِ حجةٍ ، وعمرةٍ ، تامّة ، تامّة ، تامّة » .

تخريجه :

الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الصلاة : باب ما ذكر مما يستحب من الجلوس فى المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ٣ / ١٩٣ ، ١٩٤ رقم (٥٨٣) [تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للمباركفورى] من حديث أنس بن مالك به . وعقب عليه الترمذى بقوله : « هذا حديث حسن غريب » ، ثم عقب المباركفورى على الترمذى بقوله : « حسّنه الترمذى ، فى إسناده أبو ظلال ، وهو متكلم فيه ، لكن له شواهد ، وساق عدة أحاديث » .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٣١٣ رقم (٦٢٢٢) من حديث أنس بن مالك به .

معناه :

المسلم فى هذه الأرض ضعيف بحوله وقوته ، قوىّ بحول الله وقوته ؛ لذلك لزم أن تكون له ساعات : يحاسب فيها نفسه ، ويناجى فيها ربه ، ويجدد معه عهده ، من هنا كانت الصلوات الخمس ، وكانت وصية النبى ﷺ للمسلم : أن يصلى الفجر فى جماعة ، ثم يقعد فى مجلسه يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس بمقدار ما تزول الكراهة ، ثم يركع ركعتين للضحى ، إنه إن فعل ذلك كان له من الأجر والثواب مثل ما يناله الحاج والمعتمر الذى أدى حجته وعمرته على التمام والكمال دون تضييع أو تفريط .

بعض الأحاديث الدالة على فضيلة إحياء هذا الوقت بالذكر والصلاة :

عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : « من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح ، حتى يسبّح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيرا ، غفر له خطاياه ، وإن كانت أكثر من زبد البحر » (١) .

وعن جابر بن سمرة : أن النبى ﷺ كان إذا صلى الفجر ، جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس حسنًا (٢) .

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاة الغداة فى جماعة ، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة » (٣) . إلى غير ذلك من الأحاديث .

ما يستفاد من الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ أهمية إحياء الوقت ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس بالذكر والصلاة ونحوهما ما لم يكن المسلم متعبا أو مثقلا ، وما لم يكن وراءه عمل لابد من المضى فيه آنذاك ، ويعينه على ذلك :

* أن يعلم أن هذا الوقت أنفع لصحته وبدنه من باقى الأوقات الأخرى ، حسبه أن يشم هواء جديدًا لم يدنس بمعاصى وسيئات البشر .

* وأن يعلم أن هذا الوقت ـ كما جاء فى الحديث ـ هو وقت تقسيم الأرزاق بين الخلائق ، وكل يقسم له منه بقدر ما يبذل من جهد ، وما يقدم من عرق .

---

(١) أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الصلاة : باب صلاة الضحى ٢ / ٢٧ رقم (١٢٨٧) ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٤٣٩ بنحوه .

(٢) أخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب فضل الجلوس فى مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ١ / ٤٦٤ رقم (٦٧٠) ، وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى الرجل يجلس متربعا ٤ / ٢٦٣ رقم (٤٨٥٠) بنحوه ، والترمذى فى : السنن : كتاب الصلاة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٣ / ٦٨] ، والنسائى فى : السنن : كتاب السهو : باب قعود الإمام فى مصلاه بعد التسليم ٣ / ٨٠ ، وفيه زيادة ، وأحمد فى : المسند ٥ / ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ بألفاظ مختلفة ، وورد فى : الفتح الكبير ٢ / ٣٥٨ . « حتى تطلع الشمس حسنا » أى : طلوعا حسنا . ومراده : حتى ترتفع الشمس .

(٣) أورده المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ / ٢٩٦ رقم (٦) وقال : « رواه الطبرانى وإسناده جيد » .

* وأن يعلم أن جزيل الأجر وعظيم الثواب الممنوح من الحق ـ تبارك وتعالى ـ لمن يحيى هذا الوقت بالطاعات ، على النحو المذكور فى الحديث آنفًا .

* وأن يتذكر أن السلف كانوا أحرص القوم على إحياء هذا الوقت مهما كان الثمن غاليا .

جاء عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أنه كان يحيى هذا الوقت بالطاعات دوما ، فإذا ما غلبته عيناه ، قام يمشى فى صحن بيته ويردد :

وكيف تنام العين وهى قريرة ولم تدر بأى المحلين تنزل

٢ ـ أهمية صلاة الضحى قبل أن ينصرف المسلم من مجلسه الذى صلى فيه الفجر ، فقد جاء فى الحديث أنها شكر لله على نعمة العافية ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة : تسليمه على من لقى صدقة ، وأمره بالمعروف صدقة ، ونهيه عن المنكر صدقة ، وإماطته الأذى عن الطريق صدقة ، وبضعته أهْلَهُ صدقة . . . ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى »[1] .

(١) أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب فى إماطة الأذى عن الطريق ٤/ ٣٦٢ رقم (٥٢٤٣)، ورواه مسلم فى : الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب استحباب صلاة الضحى ١ / ٤٩٩ رقم (٧٢٠) بلفظ مختلف ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ١٧٨ .

الحديث السابع

قال رسول الله ﷺ :

« إن أول النّاس يُقضى عليه يوم القيامة ، رجلٌ استشهد ، فأُتي به فعرَّفه نعمتَهُ فعرفها ، فقال : ما عملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيكَ حتى استشهدتُ، قال : كذَبْتَ، ولكنَّك قاتلت : لأن يُقال : جريءٌ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتَّى أُلقي في النَّار .

ورجل تعلَّم العلم وعلّمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به ،فعرَّفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : تعلَّمتُ العلم ، وعلَّمتهُ ، وقرأتُ فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنَّك تعلَّمت العلم ليُقال : إنك عالمٌ ، وقرأت القرآنَ ليُقَال : قارئٌ ، فقد قيل : ثم أُمر به ، فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي به في النَّار .

ورجلٌ وسَّع الله عليه ، وأعطاهُ من أصناف المال كُلِّه ، فأُتي به ، فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فَما عَملتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ تُحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لكَ ، قال : كذبت ، ولكنَّك فعلت ليُقالَ : هو جوَّاد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحبَ على وجهه ثم أُلقي به في النَّار » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣ / ١٥١٣ ، ١٥١٤ رقم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة به مع اختلاف يسير في اللفظ .

وأخرجه النسائي في : السنن : كتاب الجهاد : باب من قاتل ليقال : فلان جريء ٦/ ٢٣ ، ٢٤ بنحوه .

والإمام أحمد في : المسند ٢ / ٣٢٢ .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى: مختار الحسن والصحيح ص١٩٢ رقم (٦٢٦) من حديث أبى أمامة به ، وعقب عليه بقوله : « رواه البخارى » .

والحديث ورد فى : « الأحاديث القدسية » ٢ / ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

معناه :

تقاس قيمة الأعمال عند الله ـ عز وجل ـ بمدى صفائها ، وخلوصها له ، لا بكثرتها وعظمتها، كما تقاس بمدى موافقتها للمنهج الذى أنزله، ورضيه لنا دينا ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠) ﴾ [الكهف] ، وعليه ، فكم من أعمال كثيرة جليلة ردّها الله ـ عز وجل ـ على أصحابها ولم يحفل بها ؛ إما لأنها لم تكن خالصة له ، وإما لأنها لم تكن موافقة لمنهجه ، وكم من أعمال قليلة بسيطة قبلها الله ـ عز وجل ـ وأثنى على صاحبها خيرا ،ورضى عنه بها ؛ لأنها جمعت بين عنصرى الإخلاص والاتباع .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه وبيانه الآن ، يتضمن مصير ثلاثة أصناف من الناس أدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ، مع أنهم أتوا أعمالا جليلة ضخمة ؛ لأنهم لم يتوجهوا بها إلى الله ، بل راءوا بها الناس .

أما الصنف الأول :

فأقوام مَنَّ الله ـ عز وجل ـ عليهم بالصحة والعافية ، وكان عليهم أن يبذلوها لله وفى سبيل الله ، شكرا له على نعمته ، بيد أن الشيطان سول لهم وأملى لهم ، فبذلوها فى غير هذه الطريق .

أجل . . . لقد ذهبوا إلى ميدان القتال وبذلوا أرواحهم رخيصة ، لا لشىء إلا ليقال عنهم : إنهم أبطال مغاوير ، فيكسبوا بذلك شهرة وذكرا حسنا بين الناس . وأنّى لهم ذلك والله ـ عز وجل ـ لهم بالمرصاد ، لقد أحصى ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم ما سوّلت لهم أنفسهم ، ونبّأهم به يوم القيامة فى صورة دقيقة محكمة .

بدأ ـ سبحانه ـ قضاءه بين العباد يوم القيامة بهم ، فذكرهم بنعمته عليهم ، ثم سألهم: ماذا عملتم فيها ؟ وحين عاينوا الحقيقة، ولم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ، أخذوا فى تبرير ما صنعوا ، وأنه كان لله وحده لا شريك له ، وهنالك عرّاهم الله ـ عز وجل ـ على رءوس الأشهاد قائلا :كذبتم ، إنكم ما قاتلتم وقتلتم إلا ليقال عنكم :

شجعان، بل لقد قيل ذلك بالفعل ، وهؤلاء ـ الذين قالوا عنكم ذلك ـ شهداء عليكم، لم يبق إذن إلا أن تدخلوا النار في صورة ذليلة حقيرة ، ثم أمر بهم ـ سبحانه ـ فسحبوا على وجوههم ، وألقوا في النار .

وأما الصنف الثانى :

فأقوام كَرَّمهم الله ـ عز وجل ـ بتعلم العلم ، وتعليم الآخرين من الناس ، وقراءة القرآن وفهمه ،واستنباط الأحكام منه ، وكان عليهم أن يقصدوا بهذا العلم وجه الله ؛ شكرًا له على ما تفضل وأنعم ، بيد أن الشيطان زيّن لهم أن يراءوا بعلمهم الناس لينالوا بذلك وجاهة ،ومنزلة ، ومكانة ، فأطاعوه ،ونسوا أن الله ـ عز وجل ـ يحصى عليهم كل شيء حتى خطرات قلوبهم ، وسينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، فلمّا ردّوا إلى الله ـ العلى العظيم ـ يوم القيامة ، انكشفت لهم الحقيقة التى نسوها ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾** ﴾

[الزمر]

لقد سألهم الله ـ عز وجل ـ عن العلم الذى تفضَّل به عليهم : ماذا عملوا فيه ؟ ومن قصدوا به ؟ فأجابوه كذبا ـ ظانين أنهم بهذا الكذب ـ يمكنهم أن يفلتوا من قبضة الله وعذابه : تعلمنا العلم ، وعلمناه غيرنا ، وقرأنا القرآن ابتغاء وجهك ، وطمعا فى رضوانك ، فأكذبهم الله بأنهم ما صنعوا ذلك له ، وإنما صنعوه طمعا فى رضى الناس وفى دنياهم ، وقد وقع ذلك بالفعل ، وشهداؤكم بينكم الآن ، فلم يسعهم إلا الصمت المقرون بالخزى والحسرة والندامة ، ثم أمر الله ـ عز وجل ـ بهم فسحبوا إلى النار وألقوا فيها .

وأما الصنف الثالث :

فأقوام وسّع الله ـ عزَّ وجل ـ عليهم بجميع صنوف المال ، فصارت الدنيا رهن إشارتهم ، وتحت سلطانهم ، وكان عليهم أن يقابلوا هذا المعروف ببذله فى وجوه الخير ابتغاء مرضات الله وطمعا فى رضوانه ، وشكرا له على جميل عطائه وجزيل منحه ، إلا أن الدنيا ضحكت عليهم بزخرفها وزينتها ، وبذلوا هذا المال ، ليتحدث الناس باسمهم فى المجالس، وليطير بحديثهم الركبان ، فلما انقضت هذه الحياة ولقوا ربهم، سألهم الله : ماذا عملتم فى المال الذى منحتكم إياه ؟ ومن قصدتم به ؟ فأجابوه : أنفقناه فى جميع وجوه الخير التى تحب ، وقصدنا به وجهك ورضوانك ، فكذبهم الله

بأنهم فعلوا ذلك ليقال عنهم : جوادون كرماء ، وقد قيل ذلك بالفعل ، وبينكم الآن من يشهد عليكم ممن قالوا ذلك ، ثم أمر بهم فسحبوا على وجوههم وألقوا فى النار .

وهكذا لقى الأصناف سوء صنيعهم ، ولم يكن لهم من دون الله ولى ولا نصير ، ونتحدث الآن عن :

* حقيقة الرياء .

* آفته وضرره .

* الأسباب التى توقع فيه .

* طائفة من النصوص الواردة فى ذمه .

* سماته أو علاماته .

* الوسائل التى تعين على التخلص منه .

وذلك على النحو التالى :

أولا : حقيقة الرياء :

أما حقيقة الرياء ، فهى قصد الناس بجميع خصال الخير ، طمعا فى الظفر بالذكر الحسن ، والشهرة ، والجاه ، والمنزلة لديهم .

ثانيًا : آفته وضرره :

وهو على هذا النحو خصلة ضارّة ، وآفة مهلكة ؛ لأنه شرك ، والشرك ـ والعياذ بالله :

* ظلم عظيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان] .

* وافتراء وضلال بعيد: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء]، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١١٦) ﴾ [النساء] .

* ومحبط للعمل : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾ [الانعام] ، ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) ﴾ [الزمر] .

* وموقع الرعب فى القلوب : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

* ومانع مغفرة الذنوب: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء : ١١٦]

* ومحرم الجنة ، وموجب النار : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّار ﴾ [المائدة : ٧٢] .

ثالثًا : الأسباب التى توقع فيه :

ويوقع فى الرياء أسباب ثلاثة هى :

١ ـ حب المحمدة ، أو الذكر الحسن ، أو الثناء من الناس .

٢ ـ والخوف من ذمّ وعيب الناس .

٣ ـ والطمع فيما بين أيدى الناس .

ويشهد لهذه الأسباب :

ما روى أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه : أن أعرابيا سأل النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل حميّة ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل للذكر ؟ فقال ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (١) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح :كتاب الخمس : باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ؟ ٤/ ١٠٥ من حديث أبى موسى قال : قال أعرابى للنبى ﷺ : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، ويقاتل ليرى مكانه، مَن فى سبيل الله ؟ فقال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله »، وفى الجهاد ٤ / ٢٤ ، ٢٥ بنحوه ، والتوحيد ٩ / ١٦٦ بلفظ : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : الرجل يقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل رياء ، فأى ذلك فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا، فهو فى سبيل الله »، والعلم ١ / ٤٣ بلفظ مختلف، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب الإمارة : باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ٣/ ١٥١٢، ١٥١٣ رقم (١٩٠٤ وما بعده) بنحو روايات البخارى. وأخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٣ / ١٤ رقم (٢٥١٧) بلفظ متقارب ، والترمذى فى: السنن: كتاب الجهاد [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٧ / ١٥٠] ، والنسائى فى :السنن : كتاب الجهاد : باب من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ٦ / ٢٣ ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الجهاد : باب النية فى القتال ٢/ ٩٣١ رقم (٢٧٨٣)، والإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٣٩٧، ٤٠٢ ، ٤٠٥، ٤١٧ .

وقالﷺ : « من غزا لا يبغى إلا عقالا ، فله ما نوى »[١] .

فقوله : الرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل يقاتل للذكر ، إشارة إلى السبب الأول ، وهو طلب لذة الجاه ، والقدر فى القلوب ، والحمد باللسان .

وقوله : الرجل يقاتل حميّة ، إشارة إلى السبب الثانى ، وهو الخوف من ألم الذم أو العيب .

وقوله : « من غزا لا يبغى إلا عقالا ، فله ما نوى » إشارة إلى السبب الثالث ، وهو الطمع فيما بين أيدى الناس .

رابعًا : طائفة من النصوص الواردة فى ذمه :

وقد وردت نصوص كثيرة فى ذمّه، قدمنا بعضا منها عند الحديث عن آفته وضرره ، وبقيت نصوص أخرى منها :

قولهﷺ : « من راءى راءى الله به ، من سمّع سمّع الله به »[٢] .

وقولهﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ، يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم الجزاء »[٣] .

---

(١) الحديث أخرجه النسائى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب من غزا فى سبيل الله . . . من حديث عبادة ابن الصامت ؛ أن رسول اللهﷺ قال : « من غزا وهو لا يريد إلا عقالا ، فله ما نوى » ٦ / ٢٤ ، ٢٥ ، والدارمى فى : السنن : كتاب الجهاد : باب من غزا ينوى شيئا فله ما نوى ٢ / ٢٠٨ بنحوه ، والإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الرقاق : باب الرياء والسمعة ٨ / ١٣٠ بلفظ « . . . ومن يرائى يرائى الله به » ، وأخرجه مسلم فى: الصحيح: كتاب الزهد : باب من أشرك فى عمله غير الله ٤ / ٢٢٨٩ رقم (٢٩٨٦) من حديث ابن عباس قال : قال رسول اللهﷺ : « ومن سمّع سمّع الله به ، ومن يرائى راءى الله به » ، وأخرجه الترمذى فى: السنن : أبواب الزهد : باب ما جاء فى الرياء والسمعة [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٢٢٥] بلفظ : « من يرائى يرائى الله به ، ومن يسمّع يسمّع الله به . . . » ، وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٧ رقم (٤٢٠٦) بلفظ مُقارب ، والإمام أحمد فى : المسند ٣ / ٤٠، ٤ / ٣١٣، ٥ / ٤٥ بألفاظ مختلفة .

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد ، وورد فى : الفتح الكبير ١ / ٢٨٨ .

وقوله ﷺ : « يقول الله ـ عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى ، فهو له كله ، وأنا منه برىء ، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك » (١) . إلى غير ذلك .

خامسًا : سماته أو علاماته :

وللرياء سمات وعلامات منها :

أ ـ الكسل حال التفرد ، والنشاط حال الاجتماع مع الناس .

ب ـ الزيادة فى العمل إذا كان هناك ثناء أو مدح ، والنقص فيه إذا كان هناك عيب أو ذم . قال علىّ ـ كرّم الله وجهه : للمرائى علامات ، يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه ، وينقص إذا ذمّ (٢) .

سادسا : الوسائل التى تعين على التخلص من الرياء :

ويعين على التخلص من الرياء :

١ ـ أن يعلم اطلاع الله ـ عز وجل ـ على أحواله ، وأنه ـ سبحانه ـ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . وفى هذا يقول النبى ﷺ لأبى ذر : « وأتقن العمل ، فإن الناقد بصير » (٣) .

٢ ـ وأن يعلم أنه إن استمر على هذه الحال ؛ سيفضح أمره ، وينكشف ستره أمام الخلائق جميعا يوم القيامة .

٣ ـ وأن يعلم أن أولئك الذين كان يرائى لهم لن ينفعوه ،ولن يغنوا عنه من الله شيئا يوم القيامة .

٤ ـ وأن يعلم أن الرياء يبطل العمل ويحبطه ، ويجعله هباء منثورا .

٥ ـ وأن يعلم أنه يخلد صاحبه فى النار ، ويحرمه من دخول الجنة .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الرياء والسمعة ٢ / ١٤٠٥ رقم (٤٢٠٢) من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله ـ عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى ، فأنا منه برىء ، وهو للذى اشرك » .

(٢) ذكره الإمام الغزالى فى : الإحياء ٣ / ٢٩٨ ، والذهبى فى : الكبائر ص ١٤٥ .

(٣) رواه المقدسى .

ما يستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يأتى :

١ ـ التحرز من صغير الرياء وكبيره ، حتى يكتب الله لنا النجاح والفلاح فى أعمالنا فى الدنيا ، والنجاة والفوز ـ فى الدار الآخرة ـ برضوان الله والجنة . ويتأكد ذلك أثناء الجهاد ،وحين نشر العلم ، ووقت بذلنا الصدقة .

٢ ـ أن القضاء يوم القيامة سيكون دقيقا وعادلا :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوه ﴾ [المجادلة : ٦] ، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف] .

الحديث الثامن

قال رسول الله ﷺ :

« الشِّركُ فيكم أَخْفى من دَبيب النَّمل ، وسأدلُّك على شيء إذا فَعلته أَذْهَب عنك صغار الشِّرك وكباره ، تقول : اللَّهم إنِّى أعوذ بك أن أُشْرك بك وأنَا أَعْلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » .

تخريجه :

الحديث ورد بهذا اللفظ فى : الفتح الكبير ٢/ ١٨١ ، وأخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٤ / ٤٠٣ .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٣ / ٢٣٣ رقم (٣٦٢٥) من حديث أبى بكر الصديق رضي الله عنه به .

معناه :

يحرص الإسلام كل الحرص على أن يمحِّضَ المسلم عبوديته لله ـ عزَّ وجلَّ ـ كى يبقى ربه معه معينا ، ومؤيدا ، ونصيرا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل] ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت]

لذا نراه يحارب الشرك بكل أشكاله وصوره : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان] ، ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر] ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء] ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء] ، ويخصّ نوعا منه ـ وهو المعروف بالشرك الخفى أو الشرك الأصغر ـ بالتحذير والتنفير ؛ نظرًا لغفلة كثير من الناس عنه ، واستهانتهم به ، وسقوطهم فى وحله ، وتضمخهم بنجاسته .

والحديث الذى معنا الآن : دعوة صريحة للتحرر من هذا النوع من الشرك الذى يتسلل إلى القلوب دون وعى منها فيفسدها ، كما يتسلل اللص إلى بيوت الناس فيسرقها وهم نائمون ، وذلك بملازمة اللجوء إلى الله والتعوذ به « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » .

ولعل من الخير أن نتحدث عن :

* مفهوم الشرك الخفى ، وصور منه .

* بعض النصوص الواردة فى ذمّه والتحذير منه .

وذلك على النحو التالى :

أولا : مفهوم الشرك الخفى ، وصور منه :

الشرك الخفى هو : تعلق القلب بالعمل بعد وقوعه خالصا لله ـ عز وجل ـ لنيل حظ من حظوظ الدنيا ، وهذا النوع من الشرك داخل فيما هو معروف فى الفقه الإسلامى بالشرك الأصغر ، وله صور كثيرة ، منها :

١ ـ أن يفعل العبد العمل خالصا لله ـ عز وجل ـ فإذا اطلع الناس عليه سرّه ذلك، واستراح له وفرح به ، بل ربما استشعر لذة السرور والراحة والفرح، ولم يقابلها بالبغض والكراهية ، وربّما حمله ذلك على اختلاق سبب لاطلاع الناس ، كالتعريض فى الحديث ، أو إظهار النحول ، وصفرة الوجه ، وخفض الصوت ، ويبس الشفتين ، وجفاف الريق ، وآثار الدموع ، وغلبة النعاس ، ونحو ذلك من العلامات الدالة على طول التهجد .

٢ ـ أو أن يفعل العبد العمل خالصًا لله ـ عزّ وجلّ ـ ولا يريد الاطلاع عليه ، ولا يفرح بظهوره، بيد أنه إذا رأى الناس أحبّ أن يبدءوه بالسلام ، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير ، وأن يثنوا عليه ، وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه ، وأن يسامحوه فى البيع والشراء ، وأن يوسعوا له فى المكان . . . إلخ ، فإن قصّروا فى حقه ثقل ذلك على قلبه، واستبعده من نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام على الطاعة التى أخفاها، وأراد بها وجه الله ـ تعالى ـ وفى هذا المعنى يروى عن علىّ ـ كرّم الله وجهه ـ قوله : إن الله ـ

عز وجل ـ يقول للقراء يوم القيامة : ألم يكن يُرخّص عليكم السعر ، ألم تكونوا تُبتدءون بالسلام ؟ ألم تكونوا تُقضى لكم الحوائج ؟ (١) .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى ذمه والتحذير منه :

والشرك الخفى ـ على النحو الذى ذكرنا ـ مذموم يوشك أن يحبط الأجر ، ويذهب بالعمل ، وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تؤيد ذلك :

منها الحديث الذى نحن بصدد شرحه والكلام عنه الآن ، ومنها :

قوله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرياء ، يقول الله ـ تعالى ـ يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذى كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم جزاء » (٢) .

وقوله ﷺ : « إن أدنى الرياء شرك » (٣) ، وفى رواية : « إن اليسير من الرياء شرك » (٤) .

وقوله ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٥) .

ما يستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ ضرورة التخلص والاحتراز من الرياء بكل أشكاله وصوره ، صغيره وكبيره ، خفيِّه وجليِّه ؛ إذ هو شرك ، والشرك محبط للعمل ، مُذهِبٌ للأجر ، ويساعد على التخلص منه فوق ما ذكرنا فى الحديث الماضى :

---

(١) ذكره الغزالى فى : الإحياء ٣ / ٢٩٨ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٥ .

(٣) جزء من حديث ورد فى : الفتح الكبير ١ / ٢٨٩ عن ابن عمر ومعاذ .

(٤) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الفتن : باب من ترجى له السلامة من الفتن ٢/ ١٣٢٠ ، ١٣٢١ رقم (٣٩٨٩) من حديث معاذ بلفظ : « إن يسير الرياء شرك » ، وورد فى : الفتح الكبير ١ / ٤٢٩ .

(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى : المسند ٤ / ١٢٤ من حديث شداد بن أوس بلفظ : « أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية . . . » .

اللجوء التام إلى الله ، والاستعاذة به ، بأن يكثر من قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » ، فإنه كما جاء فى الحديث : يُذْهِبُ عن المسلم صغار الشرك وكبارَه .

٢ ـ فضيلة الاستعاذة بالله ، واللجوء إليه ، فإنها المخرج من كل ضيق ، والفرجة من كل هم ، والحصن الحصين الذى يتحصن به العباد من كيد الشياطين .

الحديث التاسع

قال رسول الله ﷺ :

« من كتم غيظًا وهُو قادرٌ عَلى أن يُنْفذَهُ ؛ دعاهُ الله على رُءوسِ الخلائق حتى يخيِّرهُ من الحورِ العينِ ، يزوِّجَهُ منها مَا شَاءَ » .

تخريجه :

الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب من كظم غيظا ٤/٢٤٨ رقم (٤٧٧٧) من حديث سهل بن معاذ عن أبيه به مع اختلاف يسير .

والترمذى فى : السنن : كتاب البر والصلة : باب فى كظم الغيظ ٤/٣٢٦، ٣٢٧ رقم (٢٠٢١) .

وابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الحلم ٢ / ١٤٠٠ رقم (٤١٨٦) .

وأحمد فى : المسند ٣ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤ / ١٤ .

وأورده الألبانى فى : صحيح الجامع الصغير ٥ / ٣٥١ رقم (٦٣٩٤) من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه به .

معناه :

خلق الله الإنسان مكونا من الروح والعقل والبدن،وقد اقتضت حكمته ـ سبحانه ـ أن يجعل البدن فى خدمة الروح ، كى يتمكن الإنسان من القيام بالتكاليف المنوطة به ؛ لذلك صوَّر هذا البدن بصورة تجعله صالحا لخدمة الروح مدة بقاء الإنسان فى الأرض ، فخلق فيه قوتين :

الأولى : القوة الشهوية ، ومهمتها جلب كل ما ينفع البدن ويغذيه .

الثانية : القوة الغضبية ، ومهمتها دفع كل ما يضر البدن ويهلكه .

كما خلق له الأعضاء أو الجوارح لتكون فى خدمة كل من القوة الشهوية والقوة الغضبية ، وخلق له كذلك العقل ليكون بمثابة مشير أو ناصح للروح ، بحيث إن مالت كل من القوتين ـ الشهوية والغضبية ـ عن حدّ الاعتدال، أشار العقل على الروح أو نصحه بضرورة اتخاذ موقف صارم مع القوة التى مالت؛ ليعود للإنسان توازنه وتكامله.

بيد أن العقل قد يعتريه ما يحول بينه وبين بذل النصح والإرشاد لسبب أو لآخر ، وهنا لابد من منهج ينير الطريق ، ويهدى للحق ، فكان الإسلام .

كأن مهمة الإسلام هى حفظ التوازن والتكامل بين سائر الجوانب التى يتكون منها الإنسان ، حتى تبقى شخصيته سوية مستقيمة ليس بها خلل أو اعوجاج .

والحديث الذى نحن بصدد شرحه ودراسته الآن دعوة للتخفيف من غلواء إحدى هاتين القوتين إذا ثارت وتجاوزت حدّ الاعتدال دون سبب أو مبرر معقول .

أجل ، إنه دعوة للتخفيف من حدة الغضب إذا ثار انتقاما للنفس ، أو دفاعا عن حظ من حظوظها ، وسبيل هذه الدعوة هى بيان مقدار الأجر والثواب الذى يظفر به فى الآخرة من ينتصر على نفسه ، ويكظم غيظه ، وهو قادر على الانتقام والثأر، إنه ينادى على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، ثم تعرض عليه الحور العين يختار منها ما يشاء ، لتصبح زوجات له فى جنّات النعيم :

« من كظم غيظا ، وهو قادر على أن ينفذه ؛ دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيّره من الحور العين ، يزوّجه منها ما شاء » .

ونتناول بالبيان :

* معنى كظم الغيظ .

* منزلته فى الإسلام .

وذلك على النحوالتالى :

أولا : معنى كظم الغيظ :

كظم الغيظ : هو تجرّعه ، واحتمال سببه ، والصبر عليه خوفا من الله ـ تعالى ـ وبعبارة أخرى هو : ترك الانتقام ، أو ردّ العدوان مع القدرة عليه ابتغاء وجه الله ، فإن

ترك ذلك ـ مع عدم القدرة ـ لم يكن كظما للغيظ ، وإنما هو عجز وضعف ، وإن ترك ذلك مع القوة والقدرة ، ولم يقصد به وجه الله ـ تعالى ـ بل قصد به الناس ، كان كظما للغيظ ، لكن لا أجر له فيه ، بل يصير عليه وزر لأنه أتى رياء وشركا .

ثانيًا : منزلته فى الإسلام :

ولكظم الغيظ منزلة رفيعة ، ومكانة سامية فى الإسلام .

حسبنا أن الله ـ عز وجل ـ جعله من صفات وسمات المتقين ، فقال سبحانه : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران] ، وقال جل شأنه : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) ﴾ [الفرقان] .

وأمر الله ـ عز وجل ـ أكرم الخلق محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يتحلى به فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف] ، وقال : ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾ [الحجر] .

وأخبر ـ سبحانه ـ أنه من عزائم الأمور فقال : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (٤٣) ﴾ [الشورى] .

وبين النبى ﷺ أن القوى حقا هو الذى يسيطر على نفسه ساعة الغضب والشدّة : «ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (١) .

كما بين أن كظم الغيظ أعظم أجرًا : « ماجرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » (٢) .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الأدب : باب الحذر من الغضب ٨ / ٣٤ ، وأخرجه مسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ويأى شيء يذهب الغضب ٤/ ٢٠١٤ رقم (٢٦٠٩)، ومالك فى : الموطأ ص ٥٦٥ رقم (١٢)، والإمام أحمد فى: المسند ٢ / ٢٣٦ ، ٥١٧ ، كلهم من حديث أبى هريرة .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى : السنن : كتاب الزهد : باب الحلم ٣ / ١٤٠١ رقم (٤١٨٩) من حديث ابن عمر ، والإمام أحمد فى : المسند ٢ / ١٢٨ .

ما يستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ فضيلة كظم الغيظ ، لما فيه من هضم النفس ، وقطع دابر الشيطان ، وجمع الصف ، وتوحيد الكلمة ، ويعين على التحلى به :

* التفكر فى مقدار الأجر والثواب المترتب عليه فى الدار الآخرة ، فإن ذلك يطفئ نار الغيظ ، ويحول بينه وبين الانتقام والتشفى .

* التخويف بعقاب الله بأن يقول المغتاظ أو الغضبان : قدرة الله علىّ أعظم من قدرتى على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبى عليه الآن لم آمن أن يمضى الله غضبه علىّ يوم القيامة ، وأنا أحوج ما أكون إلى العفو ، فإن مثل هذا التخويف يهدئ من ثورته ويمتص غضبه .

* التخويف بعواقب الغضب فى الدنيا : من العداوة ، والتدابر ، والتقاطع ، وتفريق الكلمة وهدم الصف . . . الأمر الذى يؤدى إلى سيطرة العدو ، وإفساده فى الأرض ، وإهلاكه الحرث والنسل .

* التفكّر فى قبح صورته ساعة الغضب ، إذ هو فى مثل هذه الحال يشبه السبع العاوى والكلب الضارى ، ثم تخيير الإنسان نفسه بين هذه الصورة وبين صورة الحليم الذى يشبه الأنبياء والعلماء ، ولسنا نشك أنه ستميل نفسه إلى الصورة الثانية إن كان قد بقى معه مسكة من عقل ، أو ذرة من تفكير .

* التفكر فى السبب الذى يدعوه إلى البطش والانتقام ، ويحول بينه وبين كظم الغيظ ، فإنه إذا عرف هذا السبب وأنه الشيطان ، جاهد نفسه فى مخالفته ؛ لئلا يكون من حزبه : ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة] .

* التعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، مع تغيير الحال التى يكون عليها الإنسان : بأن يجلس إن كان قائما ، أو يضطجع إن كان جالسا ، ويسارع إلى الوضوء والصلاة .

عن سليمان بن صُرد قال : كنت جالسا مع النبى ﷺ ، ورجلان يستبان ، فأحدهما قد احمر وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال رسول الله ﷺ : « إنى لأعلم

كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عنه ما يجد »، فقالوا له : إن النبى ﷺ قال: « تعوّذ بالله من الشيطان الرجيم » [١] . وكان ﷺ إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال : « يا عويش ، قولى : اللهم رب النبى محمد ﷺ ، اغفر لى ذنبى ، وأذهب غيظ قلبى ، وأجرنى من مضلاّت الفتن » [٢] .

وقال ﷺ : « ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه ، فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خدّه بالأرض » [٣] .

وكأن قوله ﷺ : « فليلصق خدّه بالأرض » إشارة إلى السجود ، وتمكن أعز الأعضاء من أذل المواضع ، وهو التراب ، لتستشعر به النفس الذل ، وتطارد به العزة والزهو اللذين هما سبب الغيظ والغضب .

وقال أبو هريرة : كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس ، وإذا غضب وهو جالس اضطجع ، فيذهب غضبه [٤] .

٢ ـ التركيز فى التربية على المكافأة والمثوبة؛ إذ النفس بفطرتها تميل إلى النعيم والراحة، وتفر من العذاب والتعب، فإذا ذكّرت بالأجر والمثوبة من رضوان الله والجنة ، أقلعت عن كل ما يحول بينها وبين منازل الأبرار والمقربين .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب بدء الخلق : باب صفة إبليس وجنوده ٤ / ١٥١ بهذا اللفظ ، وفى الأدب : باب ما ينهى من السباب واللعن ، وباب الحذر من الغضب ٨ / ١٩ ، ٣٥ ، بلفظ متقارب ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأى شىء يذهب الغضب ٤ / ٢٠١٥ رقم (٢٦١٠ وما بعده) ، وأبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما يقال عند الغضب ٤/٢٤٩ رقم (٤٧٨١)، والترمذى فى : السنن : كتاب الدعاء [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩/١٣]، والإمام أحمد فى: المسند ٥/ ٢٤٠، ٢٤٤.

(٢) ورد فى : الفتح الكبير ٢ / ٣٦٠ . وقال بعده : « ابن السنى عن عائشة » .

(٣) جزء من حديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ٩ / ٤٣] مع اختلاف يسير ، وهو جزء حديث رواه الإمام أحمد فى : المسند ٣ / ١٩ ، ٦١ قريبا من هذا اللفظ .

(٤) ورد فى : الفتح الكبير ٢ / ٣٦٠ وقال بعده : « ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن أبى هريرة » .

الحديث العاشر

قال رسول الله ﷺ :

« إذا كنتم ثلاثةً ، فلا يتناجى اثنانِ دونَ الآخر حتى تختلطوا بالناس ؛ من أجل أنَّ ذلكَ يُحزِنُه » .

تخريجه :

الحديث أخرجه مسلم : فى الصحيح : كتاب السلام : باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ٤ / ١٧١٧ ، ١٧١٨ رقم (٢١٨٣ ، ٢١٨٤) من حديث ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم به ، وبنحوه .

وأخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الأدب : باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون الثالث ٥ / ١١٧ ، ١١٨ رقم (٢٩٨٢) من حديث ابن مسعود بنحوه ، ثم عقّب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، وفى الباب عن ابن عمر ، وأبى هريرة ، وابن عباس .

وأورده السيوطى فى : الجامع الصغير ١ / ٤٣٥ بهامش فيض القدير رامزا له بالرموز (حم ، ق ، ت ، هـ ، عن ابن مسعود ـ صح) يعنى أخرجه أحمد فى المسند ، واتفق عليه الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ فى صحيحيهما ، وأخرجه الترمذى ، وابن ماجه فى سننهما ، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود ، وهو حديث صحيح .

وأورده الشيخ عبد البديع صقر فى : مختار الحسن والصحيح ص ١٩٦ رقم (٦٤٦) ثم عقّب عليه بقوله : « متفق عليه » .

معناه :

يهدف الإسلام إلى تقوية الصف ، وجمع الكلمة ، حتى يظل المسلمون قوة وقذى فى عيون أعدائهم، وسبيله فى ذلك : محاربة كل ما يؤدى إلى الفرقة والتدابر والتقاطع ـ من الظن ، إلى التجسس ، إلى الغيبة ، إلى الحسد ، إلى البغض ـ وهلم جرا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات] .

والحديث الذى معنا الآن : دعوة إلى التخلى عن خلق مرذول ، لو أصرّ عليه المسلمون ؛ لأشاع بينهم الظنون الكاذبة والأوهام الباطلة ، الأمر الذى يؤدى إلى الفرقة والتدابر والتقاطع فى نهاية المطاف .

إنه دعوة إلى منع تناجى اثنين فما فوقهما دون الواحد ، إذ ربما يظن هذا الواحد أن هناك مؤامرة عليه لقتله ، أو أن إخوانه لم يشركوه الحديث احتقارا له ، فيبقى حزينا بعيدا عن جماعته ، وذلك ما يرفضه الإسلام ويحاربه .

ولا بأس أن نتحدث عن :

* معنى التناجى وموقف الإسلام منه .

* بعض النصوص الواردة فى شأنه .

وذلك على النحو التالى :

أولا : معنى التناجى وموقف الإسلام منه :

يراد بالتناجى : التحادث سرا ، يقال : انتجى القوم ، وتناجوا : أى سارَّ بعضهم بعضا ، وقد أقره الإسلام وأباحه ؛ لأنه من ضروريات الحياة يلجأ إليها البشر لاسيما فى الأمور المهمة ،التى يراد لها أن تتم بعيدا عن أعين المرجفين والمفسدين فى الأرض ، غاية ما فى الأمر : أن الإسلام حين أقرّه راعى مشاعر الناس وأحاسيسهم ، كيلا تكون هناك فرقة أو تقاطع ، فطلب من الاثنين ـ فما فوقهما ـ إذا أرادا التناجى ألا ينفردا بها دون الآخر ، بل عليهما أن يتركا معه من يحادثه ويناجيه ، وعلل ذلك بأنه يحزنه ؛ إذ ربما يلقى الشيطان فى روعه أن الجماعة تتآمر عليه لقتله ، أو أنها تحتقره وتسخر منه،وقد امتثل السلف ـ رضوان الله عليهم ـ لأمر الإسلام وحكمته فى ذلك ، فها هو ذا عبد الله بن عمر كان يتحدث مع رجل ، فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يفعل حتى دعا رابعا ليتحدث مع الآخر ، ثم ناجى الطالب للمناجاة .

ثانيًا : بعض النصوص الواردة فى شأنه :

هذا وقد وردت بعض النصوص فى شأن النجوى ، منها قول الله ـ عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المجادلة] .

وقال ﷺ زيادة على حديث الباب :

« لا يتناجى اثنان دون واحد ، فإن ذلك يؤذى المؤمن ، والله يكره أذى المؤمن » [١] .

ما يستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا :

ويستفاد من هذا الحديث دعويا وتربويا ما يلى :

١ ـ حرمة انفراد الاثنين ـ فما فوقهما ـ بالنجوى دون الآخر ، حتى يوجد معه من يناجيه ، أو يختلط الجميع بالناس ؛ لئلا تلعب بهذا الآخر الظنون الكاذبة والأوهام الباطلة ، فتحدث الفرقة ، ويكون الشقاق .

٢ ـ حرص الإسلام على محاربة كل ما يؤدى إلى الفرقة والتقاطع والتدابر ، حتى يظلّ المسلمون أقوياء ، يرهبهم الأعداء ، ويعملون لهم ألف حساب وحساب .

٣ ـ رعاية الإسلام لأحاسيس الناس ومشاعرهم ، وكيف لا يكون كذلك وهو حكم الله ؟

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الأدب [صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ١٠ / ٢٦٨] .